

# للكرامية بين الكويتيين والعراقيين تكلفة كذلك

## العراقي والكويتي لا يسمعان إلا ما يسيء إليهما من بعضهما

لتأهيل العلاقة بين الشعبين، وتطرق إلى بعض أسباب هذا الفشل. لكن ما العمل الآن؟ هل نتقبل ان يستمر المسار في الانحدار؟ ان الشعوب الحية تجد في الأزمات السياسية فرصاً لتفقد ذاتها قبل فقد الآخرين. وهذا لا يمكن ان يتحقق من دون ان نضع أنفسنا محل الطرف الآخر، وان نحلل المشكلة من منظور غير منظورنا كما ينصح الدكتور روجر فيشر. هذا من ناحية، ولكن من ناحية أخرى لا بد من اتخاذ خطوات عملية لتأهيل هذه العلاقة بين الشعبين، ويتطلب ذلك تشكيل لجنة تضم أعضاء من مجلسي النواب الكويتي والعراقي، إضافة إلى متخصصين في علم النفس والاجتماع ومفكرين آخرين ومواطنين عاديين، ويكون من مهام هذه اللجنة الإعداد لخريطة طريق لتأهيل هذه العلاقة. لنعتبر ان هذه الأزمة فرصة لوضع أسس لبناء جسور جديدة أفضل تصميماً وأقوى بناءً. فليس لدينا خيار نحن الشعبين إلا ان نبدأ بدايات جديدة تحسن من أوضاعنا السابق. فمشاعر الكراهية التي تطلق زعيقاً أحياناً وكلمة نابية أحياناً أخرى تفسد براءة الأطفال وطبيعة البسطاء، ومشاعر الكراهية لها تكلفة نفسية، تتراوح بين اليأس وإثارة الغرائز العدوانية.

لا تزيد على ٥٠٠٠ ميغوات، وهي الطاقة نفسها التي كانت ايمان النظام البائد، وهي تعادل حوالي نصف ما تنتجه محطات الطاقة في الكويت. لقد بدأ الجيل الكويتي الذي عرف العراق في الخمسينيات من القرن الماضي بالتلاشي، فندرة من الكويتيين يحملون ذكريات طيبة عن عراق الإزدهار والاستقرار والحرية النسبية، والتعليم المتميز. فالكويتيون ومنذ ١٩٥٨ يراقبون عن بعد عراقاً ترتب فيه كرامة الإنسان، ويرتقي فيه المنحط ويذل فيه الكريم ويعذب فيه البريء، فأصبح العراق مصدر خوف حتى من دون غزو أو احتلال، وتفاقت بشاعة الصور بعد الغزو العراقي للكويت، لكن في دول الجوار ومع نفسه، علينا ان نتفهم ونظهر تعاطفاً مع هذا الشعب الذي شاعت ظروفه الجغرافية والسياسية والاجتماعية ان تدخله أقيادته في حروب مع دول الجوار ومع نفسه، أدت إلى تدهور مستواه الاقتصادي، وإلى غياب الأمن، وإلى تدهور في القيم. وقد وصل تدهور الوعي فيه إلى الحضيض عندما ساد فيه القتل الطائفي بعد تفجير قبة الإمام العسكري في فبراير ٢٠٠٦، فلا بد ان يتعاطف الإنسان مع بلد فيه مليون أرملة وأربعة ملايين طفل يتيم وما يزيد على مليون قتيل ومفقود.



بقلم: د. حامد الحمود

١٩٥٨ عرف الكويتيون العراق والبصرة خصوصاً بلداً غنياً ومستقراً. وكثير من العائلات التجارية كانت لديها مكاتب فيها. وإلى أول الخمسينيات من القرن الماضي، كان مطار البصرة أهم مطار في منطقة الخليج، فكان السفر منه إلى الهند وأوروبا، والأهم من ذلك تميز العراق بمستوى عالٍ من التعليم في تلك الفترة ومستوى أفضل من الوعي. وإن كانت عزلة الشعبين بعضهما عن بعض قد بدأت منذ عام ١٩٥٨، فإنه ومنذ ذلك التاريخ كان هناك نوعان من العزلة، الأولى كانت خلال الفترة ١٩٥٨ - ١٩٩٠، والثانية منذ عام ١٩٩٠ إلى الوقت الحاضر. وقد تميزت العلاقة بين الشعبين والكويتيين بتعاقب الانقلابات السياسية والدموية في تعامل الأحزاب السياسية بعضها مع بعض وهي فترة حرجية في العلاقة بين الشعبين والكويتيين. ففي عام ١٩٦١ ادعى عبد الكريم قاسم بأن الكويت جزء من العراق، فسقط نظامه عام ١٩٦٣، أعقبها انفراج نسبي في العلاقة وتتميز بعلاقة قوية بين الكويت والعراق بعد تولي صدام للسلطة عام ١٩٧٩، وقد حصل هذا الطاغية على دعم شعبي من غالبية الكويتيين، خاصة خلال فترة الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨، واستمر الحضور العراقي القوي بما فيه المخابراتي سنتين بعد نهاية الحرب العراقية - الإيرانية مصحوباً بزيارات لشخصيات اجتماعية وسياسية لبغداد، إلى ان فاجأ صدام الكويت والعالم بغزو همجي في أغسطس ١٩٩٠، وبعد أشهر قليلة من زيارته وتكريمه -المغفور له- الشيخ جابر الأحمد الصباح إلى بغداد.

كنت اتحدث هاتفياً مع صديقي الذي يدرس العلوم الإنسانية في جامعة الكويت، وكان حديثنا عن الجو السياسي المتوتر بين العراق والكويت، وفيما كان يتحدث كنت استعيد ذكريات محادثاتنا الهاتفية مع اثناء الاحتلال العراقي وعن آلامه وتجربته المريرة في البحث عن شقيقه الذي اعتقلته القوات العراقية في الاسبوع الاول من الاحتلال، ولم يرجع منذ ذلك التاريخ. وعندما عدت إلى الحاضر وجدت نفسي أتحدث مع صديقي عن تكلفة الديون والتعويضات وعن هذا الجو من الكراهية الذي اسدل على قلوبنا، توقفت قليلاً بعدها تساءل صديقي: لكن أما لهذا الجو المقيت من الكراهية تكلفة كذلك؟ فكان ان فكرت في ان اكتب عن أسباب هذه الكراهية.. فشكراً لصديقي الذي حفزني على الكتابة.

إن الفرق بين المحبة والكراهية، كالفرق بين البناء والتدمير، فالبناء يحتاج سنين من التصميم والتنفيذ، لكن التدمير يمكن ان يحدث في دقائق كذلك هي مشاعر المحبة والكراهية بين الأفراد والشعوب. فبناءً وشائخ المحبة يتطلب لقاءات وتبادل أفكار، إضافة إلى وقت طويل، لكن المحبة أو الحب يمكن ان تتحول إلى شك وكراهية بسبب كلمة أو تصريح أو إشارة، وهذا ما حصل بين الكويتيين والعراقيين خلال الأيام القليلة الماضية، فلقد كانت هناك محاولات لبناء جسور من المحبة خلال السنوات الست الماضية أو منذ سقوط نظام صدام، خاصة أن الشعبين قد عانوا من ظلم واضطهاد هذا النظام، لكن هذه التصريحات الخيالية سببت انهياراً سريعاً لهذه الجسور، التي ربما لم تكن جيدة التصميم والبناء، وقد ساعد الإعلام الكويتي، والعراقي خاصة، الخاص منهما على تسريع هذا الانهيار. فأخذ الكويتي لا يسمع إلا ما يسيء إلى الكويت من العراقيين، وأخذ العراقي لا يسمع إلا ما يسيء إلى العراق من الكويتيين. وهذا ما يحصل في النزاعات عادة، فكل ينتقي بصورة لا شعورية أحياناً ما يود ان يعزز وجهة نظره عن الطرف الآخر. وقد ساهم الإعلام والصحافة في انتقاء ما يجير، لأنه أكثر جاذبية للمشاهد أو المستمع أو القارئ. ومثال على ذلك ان تصريحات النواب المسيئة للكويت كانت تأخذ عنواناً عريضاً وتحتفي بتصريحات الرزينة بين السطور. ولا بد ان يكون قد حدث ما يقابلها في الإعلام العراقي، لكن هذا الانهيار السريع، وكما ذكرنا، يرجع إلى سوء تصميم الجسور، التي أرى ان أهمها هي عزلة الشعبين بعضهما عن بعض لمدة تزيد على خمسين عاماً أو منذ عام ١٩٥٨، وهي السنة التي سقط فيها النظام الملكي الدستوري بانقلاب دموي.

### العراقي البشع والكويتي المتآمر

إن صورة العراقي الغازي لدى الكويتي وصورة الكويتي المتآمر لدى العراقي، هما صورتان غير حقيقيتين، لكنهما موجدتان في ذهن كل طرف عن الطرف الآخر. فأغلب العراقيين ولدوا بعد غزو الكويت، أما صورة الكويتي المتآمر فهي وهم زرعته الإعلام المعني ليبر هزائمهم وتسببه في معاناة العراقيين. لكن، وكما يشرح روجر فيشر في الكتاب نفسه، فإنه في النزاعات فإن الحقيقة الموضوعية لا تهم بقدر ما يحمل كل طرف من أفكار عن الطرف الآخر. ويضيف «ان هذه الأفكار أو الانطباعات، وان كانت من محض الخيال، قد تسبب حروباً. كما ان الحقائق، وان كانت مثبتة، قد لا تُطفي نيرانها، لذا لكي ننزع فتيل الفتنة، علينا ان نرى المشكلة من خلال نافذة جديدة، وان نحلها من منظور غير منظورنا، وفي كل حالة فإن مقياس متعمدنا يعتمد على قدرتنا ان نضع أنفسنا في مكان الطرف الآخر، وان نرى العالم من خلال وجهة نظره». ان اكثر من خمسين سنة من العزلة بين الشعبين العراقي والكويتي، كان لا بد ان تكون صوراً سلبية عند طرف عن الطرف الآخر.

وكانت الذكريات جاهزة لدى الطرفين لكي ينحدر في التهجّم بعضهما على بعض من خلال الصحافة والإعلام المرئي والمسموع. وكانت ذكريات جاهزة لدى الطرفين لكي ينحدر في التهجّم بعضهما على بعض من خلال الصحافة والإعلام المرئي والمسموع.

### ضرورة بناء جسور جديدة

لكن، وكما ذكرت في بداية هذا المقال، فإن سرعة انهيار جسور الاحترام والمحبة تعكس سوء تصميمها، فمنذ سقوط النظام الفردي في بغداد في ابريل ٢٠٠٣ لم يبذل الطرفان جهوداً كافية

الكويتي المتآمر عند العراقي، لتلكا صورتان هما على استمرار هاتين صورتين، هو عدم تفهم كل طرف لمعانات الطرف الآخر، مع ان سبب المعاناة كان واحداً في بعض الأحيان. وفي هذا المجال، يقول الدكتور روجر فيشر Roger Fisher أستاذ القانون في جامعة هارفرد في كتابه «ما بعد مكافيلي»، الذي يبحث في التعامل مع النزاعات، ان عدم تفهم طرف لآخر يرجع إلى ان المارك مختلفة، لأن الخبرات مختلفة ولأننا انثقنا فيما نخشاه من خبراتنا. فهناك مثل روسي يقول إن كل فرد يرى العالم من أعلى البرج المنصوب في قريته».

### ضياع فرصة

كانت هناك فرصة لاصلاح ذات البين بين الكويتيين والعراقيين بعد سقوط النظام الدكتاتوري في ابريل ٢٠٠٣، لكنها لم تستغل بالقرن الكافي من الطرفين، فكما كانت الولايات المتحدة غير مستعدة لإدارة العراق بعد احتلاله، كانت الكويت غير مستعدة للتعامل مع المخبرات الصعبة التي فاجأت حتى المتخصصين في الشؤون السياسية والاجتماعية للعراق. كما ان انعدام الأمن والنزاع الطائفي البغيض الذي أودى بحياة الآلاف من العراقيين الأبرياء حرمتنا من فك العزلة في ما بيننا. فتعدت السفر إلى العراق وتباطأت خطط الاستثمار الكويتي في العراق. ولم يجن العراقيون الحلم المنشود بازدهار اقتصادي بعد سقوط نظام صدام.

فقد ترك صدام العراق مدمراً، مستشفيات بدائية ومدارس مهلهلة. لقد شاهدت ذلك بنفسي عندما زرت البصرة ضمن حملة الهلال الأحمر الكويتي لإيصال المساعدات. وأذكر كيف جمعت الأمهات العراقيات حاملات أطفالهن ليفحصهم الدكتور هلال السائير وزير الصحة الكويتي الحالي والعضو الناشط في جمعية الهلال الأحمر، وحتى بعد ست سنوات من الاحتلال، وبعد صرف بلايين الدولارات، ما زال العراق يعاني تدهور الخدمات الصحية والتربوية، وما زالت طاقته في توليد الكهرباء

### العزلة الشاملة

وقد بدأت العزلة الكاملة والحاضرة بين الشعبين الكويتي والعراقي بعد تحرير الكويت من الغزو الهجري في فبراير ١٩٩١، والذي أعقبه انقطاع تام بين البلدين والشعبين. والجدير ذكره هنا ان غالبية من الشعبين الكويتي والعراقي، إما ولدوا وإما ان يكون قد تشكل وعيهم بعد الغزو أو تحرير الكويت، مما يعني ان هذا الوعي تشكل محملاً بالكراهية للشعب الآخر. فالكويتيون ينظرون إلى العراقيين على أنهم غزاة، والإعلام العراقي في فترة التسعينات كان يشحن العراقيين بمشاعر الكراهية نحو الكويتيين، باعتبار ان الكويت والولايات المتحدة وبريطانيا كانت وراء الحصار الاقتصادي للعراق، الذي عانى العراقيون الكثير منه. فنحن أمام شعبين، الأول عانى من غزو ونهب وقتل، وهي تجربة مروعة لشعب اعتاد السلام والوثام بين أفراد شعبه وبين الشعب وقيادته، تلك القيادة التي تمكنت من اقناع ٣٠ دولة بان ترسل جيوشها للمساهمة في تحرير الكويت، أما الشعب الثاني فذهب ضحية الخطرسة وحشية قائد، الذي زج شعبه وبلده في حربين دمورتا البنية التحتية للعراق وتسببت في قتل وجرح وفقدان وهجرة ملايين العراقيين. لذا، يمكن اعتبار الفترة ١٩٩٠ - ٢٠٠٣ أنها فترة العزلة الكاملة التي تشكلت فيها صورة العراقي البشعة لدى الكويتي، وصورة

## الشعبان عاشا عزلتين عن بعضهما: الأولى عام ١٩٥٨ والثانية عام ١٩٩٠

## لننزع فتيل الفتنة يجب أن نرى المشكلة من منظور جديد

لا شك ان الاحتفاظ بمشاعر الكراهية عبء كبير على الفرد وتبديد للطاقة الإنسانية. لقد أصبح العالم قرية واحدة، ومن العبث ان يبذل العراقيون والكويتيون طاقاتهما. ولا بد ان نصبر ونفهم بعضنا بعضاً لنحل الأمور المعلقة من ترسيم حدود، وديون وتعويضات. ولنحل بحالة تزال فيها العزلة في ما بيننا، وان يتمكن الكويتي من السفر إلى العراق بحرية وأمان، وان يخفنا ما بين السيارة والطائرة والقطار، وان يتمكن الكويتيون الذين سيعيشون في مدينة الصبية من الانتقال بالبحر إلى البصرة عبر شط العرب في وقت قصير، وان يسافر المواطنون الكويتيون الشيعة لزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء كيفما شاءوا بحرية وأمان، لقد قاتلت الشعوب الأوروبية بعضها لبعض لأسباب قومية ودينية وعقائدية لقرون عديدة، حتى انها فقدت نصف سكانها في الحروب الطائفية، والحرب العالمية الثانية تعتبر حديثة بالمقاييس التاريخية، فلا بد ان نحلح بعلاقة بين العراق والكويت تسودها المحبة والوثام، محترمة مصالح ومشاعر الطرفين، وان نحلح بشراكة اقتصادية توفر فرص عمل للعراقيين والكويتيين، وان يتعرف ابناءؤنا على البصرة وبغداد والموصل، ولا بد من التذكير هنا أنه في كليات إدارة الأعمال يتعلم الطلبة ان الانجازات الكبيرة تبدأ بالحلم ثم بالرؤية فالاستراتيجية، وأخيراً الخطة والعمل على تنفيذها. فالحلم ليس هروباً من الواقع وإنما تحفيز لخلق واقع أفضل.

إن دعوة سمو امير البلاد لاعضاء المجلس الى الحكمة في التعاطي مع الملف العراقي لها معانٍ كبيرة يتوخى منا ان نستوعبها جميعاً. فالحكمة من صفات الإنسان القوي الواثق من نفسه، كما استشهد الرئيس اوباما في خطابه للمسلمين بمقولة لتوماس جيفرسون الرئيس الثالث للولايات المتحدة، قال فيها «عسى الله ان يزيد من حكمتنا عندما يزيد من قوتنا، لكي نستخدم الحكمة قبل القوة».

Hamed.alajlan@gmail.com

## مطلوب خريطة طريق لتأهيل العلاقة بين الشعبين تضعها لجنة مشتركة قوامها برلمانيون ومفكرون ومتخصصون

### خمسون عاماً من العزلة

فقبل سقوط النظام الملكي في ١٤ يوليو

**مركز الفوزان لطب الأسنان**  
حولي مجمع الهلب - الدور الأول  
ت: ٢٢٦١٩٥٥٧

**دليل الأطباء**

**الدكتور محمد الجارالله**  
استشاري جراحة السمنة والأورام والجهاز الهضمي وحلقة المعدة  
أورام الثدي والدرقية  
جراحة الأورام والسرطان  
شد ترهل البطن  
المبارزة - البطن  
أمراض المعدة والقولون  
بالتون المعدة  
مواعيد العمل من 5 - 9 مساءً  
ت: ١٨ ٦٦٦٦٢٠

**The Cosmetic Surgery Clinic**  
شطف الدهون ونحت القوام يعطيك النتائج المضمونة فقط بمركز د. عادل قطينه  
**The Fox SMART lipo LASER**  
إذابة الدهون بالليزر (نظام سمارت فوكس) مع شد الجلد تلقائياً في نفس الوقت ومن جلسة واحدة فقط بدون الخدر العام بدون إقامة بالمستشفى  
MD, MB, BCh, BAO, FRCS (Canada) Cosmetic Plastic and Reconstructive Surgery  
فرجينيا كلينك - الدور السابع والثامن - السالمية - نهاية الدائري الرابع  
2 562 5030

**الجلدية والليزر وتجميل الوجه**  
حقن البوتوكس وتكبير الشفتين والخدود • علاج الترقق الزائد تحت الأبط • ميزو الفيتامينات شد البشرة وتساخ الشعر • إزالة التجاعيد بدون جراحة ورفق الجواجيب • تظليل البشرة والتشهير الكيميائي والكريستالي، البقع والتصبغات • علاج الشوائب والزوائد الجلدية، وعلاج الكلف  
شد الوجه والجسم، والسيوليات والسرطانات بدون جراحة بالليزر الشفائي أحدث جهاز ليزر يارده لإزالة الشعر، للبشرة البيضاء والسمراء،  
• شطف الدهون بدون جراحة • جلسات تفتيح وتبييض البشرة • ليزر الشعيرات الدموية  
مناجات الشعر  
• عرض وخصومات مميزة ليزر إزالة الشعر الوجه كاملاً  
• خصم خاص على جلسات الليزر - بدون حقن  
• تشيخ البشرة  
الشعب البري: ٤٥، ش. بن العياط، ت: 22658090 - 22658090 من 9 - 5 من ٩ صباحاً

**للإعلان الاتصال على**  
٢٤٨١٢٨١٨  
٢٤٨٣٤٣١٠

**دليل الأطباء للإعلان في صفحة الدليل يرجى الاتصال على**  
24834310 24812818